أيها الشـــبان !

لبول بورجيه

بمناسبة وفاته فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٥[١]

ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندى

اليكم هذا الكتاب يا شباب الوطن ، الذين تتراوح أعماركم بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين ، والذين تبحثون فى مؤلفاتنا عن جواب عن المسائل الآخذة عليكم مذاهب التفكير ، أما الجواب فيعتمد قليلا على حياتكم المعنوية ، حياة فرنسا ذاتها ، فلسوف تسيطرون فى العشرين سنة المقبلة على مصائر هذه الأمة العجوز ..... أمنا جميعاً

ماذا حصلتم من مؤلفاتنا ؟ هذا سؤال يخاف الكتاب النزيهون من تبعاته . . . .

فى كتاب « التلميذ »[٢] بحث لهذه التبعات ، وفيه دليل على أن الصديق الذى يطالعك وأنت تطالعه إنما يملؤه إيمان عميق بسلطان الأدب ، ودليل آخر على أنه يفكر فيك أيام درجت تتعلم الهجاء ، أيام كنا نحن كاسفى البال نوقع ألحان قريضنا الناشئ على رنين المدافع الفاغرة أفواهها على باريس ، أيام كان كبارنا فى صفوف المعركة ، وكنا نحن الصغار فى صفوف الجامعة ، ترزح ضمائرنا تحت عبء فادح هو إحياء فرنسا

كنا نناجيك يا شباب اليوم بما ناجاك به بانشيل : « أقبلوا أيها الفيلق المبارك ، يا شباب الأيام التى لم تنفرط من عقد الزمان بعد ، أقبلوا كالفجر الطالع ، واملأوا آفاق الورى بالنور .... »

كنا نتمنى أن يشرق فجركم وضاء يغمر الورى إشراقاً ، فلقد كان فجرنا يختنق ببخار الدم الذى يسمم الأفق ، وكنا نعرف أن علينا أن نعيد لكم فرنسا سيرتها الأولى ؛ ولئن كنا صغاراً فلقد كنا نعلم أن أفضل ما علمنا أساتذتنا هو « أن الظفر أو الخذلان فى الخارج إنما هما مظهر المنعة أو الانحلال الداخلى »

كنا نعلم أن نهضة ألمانيا فى فاتحة القرن لم تكن إلا عملاً من أعمال (النفس) ، وكنا نعلم أن النفس الفرنسية هى التى انكسرت فى حرب السبعين ، وأن الأزمة الفرنسية إنما هى أزمة نفسية عبر عنها ديماس حينما قال : « . . . حذار . . . حذار . . . إنها برهة عجلى ما أسرع أن تفوت . . . تلك البرهـــة التى يمكن أن يكون فيها الفتى حساساً كله عواطف ، أو متشككاً أو ساخراً أو مهذاراً . أما الله ، وأما الطبيعة ، أما العمل والزواج والحب والبنون ، فأولئك أمامك دائماً . . . أولئك يجب أن يحيوا أو أن تموت . . »

بلى : هذا الجيل الذى أنا منه والذى زخرت نفسه بالآمال الجسام ، كم جاهد لمجد فرنسا ! . إن نفسى لتذوب حسرات كلما تذكرت أن رجال السلطة قد تخلوا عنا فى غضون هذا الجهاد العاصف ، وأن الطبقة الوسطى هى التى غذت فرنسا فى العشرين عاماً الماضية بالقادة والساسة والفنانين العباقرة حتى ليتساءل المرء : « ما أقدر هذا الفلك الفرنسى السيار ! ما أكبر حيوية هذه الأمة الفرنسية ! إن خطاها لاتنى حيث كانت تهلك أية أمة أخرى! »

هذه الطبقة الوسطى التى شهدت بعض الزعماء يضحون بالعزيز عليها من العقائد باسم الحرية ، ودجاجلة سياسيين يلعبون على الاقتراع العام فيسمو التدجيل بكفاياتهم المتواضعة إلى أسمى الدرجات . . كم تحملت لتبعث فرنسا فى العوالم من جديد . . ! ولئن خطر الجند الفرنسيون ذهاباً وجيئة ، أو أضمرت الحكومات لنا الاحترام ، أو تقدم التعليم العالى ، أو كانت الآداب الفرنسية ما برحت تحمل لفرنسا لواء العبقرية والمجد ، فلهذه الطبقة الوسطى تلكم اليد العليا . . .

كيف تحيا يا فرنسا وتنهض ؟ هذه مسألة الساعة

إنك لاتتذكر صور أولئك الخيالة البروسيين وهم يتبخترون على أرض فرنسا ، يهزون أعطافهم كبرياء ، ويصعرون خدودهم صلفاً ؛ أما نحن فكم غصصنا بهذه الرؤى .. وما كنا نحسب أن الصلح يمحوها من الأحلام ، أو أنه سيسوى أسباب الخصام والسلام

إننى أعلم أنك على استعداد لتهب فى سبيل الوطن روحك ، لكن ليس هذا الفخر ، ولا يكفى أن تعلم كيف تموت ، بل يجب أن تعلم كيف تحيا . . .

هل لك مثل أعلى من أمثالنا العليا ؟ أفيك إيمان أقوى مما تنطوى عليه أضالعنا ؟ هل لك آمال دونها آمالنا ؟ . . .

ان كان الجواب نعم ، فشكرا

(١) انظر البريد الأدبى فى هذا العدد (٢) أحد كتب بول بورجيه

وان كان الجواب لا . . .

ان كان الجواب لا . . .

ان كان الجواب لا : فان من شباب هذا الجيل طرازين كلاهما ثرى وكلاهما مشئوم

أما الأول فهو ذلك المرح المستهتر بالأشياء ، الذى همه وكبر مناه فى الدنيا أن يستمتع ، وعلى الأصح أن يصل وأن ينجح ، فاذا كان سياسيا أورجل أعمال أو أديبا أو محاميا أو فنانا أو ضابطا فانما « . . ذاته » هى الأمل المشتهى ، وهى المبدأ والمنتهى ؛ يندفع فى تطبيق قانون تنازع البقاء على اساليب عيشه وكفاحه اندفاعا بربريا ؛ هو لا يهوى من الحياة الا النجاح ، ولا من النجاح الا المال ؛ ولقد يقرأ ما أكتب كما يقرأ كل شىء ليكون فقط « . . مع الدنيا . . » ؛ ولقد يرمينى بأنى أهزأ بالجمهور وما أنا الا صورة منه ؛ طراز إباحى فى كل شىء ؛ ليس المثل العالى لديه الا فكاهة ؛ فاذا مارس الديمقراطية مثلا فليتبوأ مقعده فى مجلس النواب . . . أو ليس ذلك الشيطان الرجيم ؟ . . هذا الذى لم يقطع من مراحل الحياة خمسا وعشرين مرحلة وليست نفسه الا « عدادا » لحساب الملذات

ثم أرأيت إلى ذلك الآخر الأخلق بالزراية والمقت ، هذا طراز قد اجتمعت له أرستقراطية الأعصاب والصلف ، أبيقورى مهذب على نقيض الأول ؛ فذلك أبيقورى متوحش ، وهذا الأرستقراطى إباحىّ لبق ؛ طافت كل الأفكار برأسه ، فلا تحدثه عن التجديف أو عن المادية ، فان للمادة عنده معنى غير ذى حدود ... هو أنفذ بصيرة من أن يجهل أن كل دين دانت له الدنيا فى إبانه . . . هو لا يدين إلا « لذاته » . . ليس الخير ولا الشر ، ولا الجمال ولا القبح أموراً ذات بال تمنيه ، وإنما نفسه (أداة) متعلمة يلتذ بتجريدها وتعطيل مزاياها كأنها موضوع تجارب ، لا يفقه فى الحق ولا فى الباطل ولا فى الانسانية ولا فى البهيمية ، بل كما قال (بارس) تناهت به شهواته إلى عبادة ذاته أو لذاته .....

لا تكونوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أيها الفتيان ....

لا إلى الواقعيين المفرطين فى عالم الحس ، ولا إلى المتفيهقين المستهترين فى عالم المعقول ؛ ولا يركبنكم شيطان الغرور فيذلنكم للكبرياء والشعوذة ، بل عليكم أن تجعلوا شعاركم : « إنما يحكم على الشجرة بما تؤتى من ثمار »

إن ثمة حقيقة لا مراء فيها لأنها بين الضلوع ، تبصرونها وتحسون بها : تلك هى النفس . وإن من الفكر التى تسيطر على أذهانكم لأفكاراً تضعف من قوى الارادة والمحبة ، فاعلموا أنها أفكار زيوف سهما طلاها السحر بالألوان . وزيدوا « المحبة والارادة » نماء فليس سواهما إلا عار دائم وعذاب مقيم

واعلموا أن العلم الصحيح اليوم يعرف أن حدود « العالم المجهول » تتاخم حدوده — وكما قال لتريه : هذا بحر فامض تلاطم شواطئنا لجاته ، تشهده نواظرنا والهة ، لا زورق يسبح بنا فيه ولا شراع .... فقولوا للأولى زعموا أن عنده الظلمات والهاوية : « إنكم لا تعرفونه »

وما دامت فى جنوبكم هذه النفس فتعهدوها .

إن فرنسا تريد من كل فرنسى أن يفكر فيها ؟

باريس فى ٥ يونيو سنة ١٨٨٩

قيمة الاشتراك فى كتاب :

وحى القلم

فتحنا باب الاشتراك فى هذا الكتاب ولم نعلن عنه إلا فى « الرسالة » وحدها إذ الغرض منه إكرام قرائها ، وخصوصاً الطلبة منهم ، وعلى الأخص طلبة الأزهر ودار العلوم ، ليتمكن هؤلاء وهؤلاء من إقتناء الكتاب بثمن بخس

وقد سألنا جماعة من حضرات الطلبة مد الاشتراك إذ كان الأزهر معطلاً فى شهر رمضان وكانت المدارس معطلة بالاضطراب السياسى . فاجابة لطلبهم سيكون الاشتراك إلى منتصف هذا الشهر (يناير) بعشرين قرشاً غير أجرة البريد ، وهى ثلاثة لداخل القطر

ومن منتصف يناير إلى آخر الشهر يكون الاشتراك بثلاثين قرشاً . ثم لا يقبل اشتراك بعد ذلك البتة

والكتاب جزءان فى نحو ٨٠٠ صفحة ؛ ويرسل الاشتراك إلى طنطا باسمنا ؛ والمقيمون فى القاهرة يشتركون من إدارة (الرسالة) مصطفى صادق الرافعى